إدارة الوقت

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة/ ٤٨).

الزمن عنصر أساس في إيجاد وإنجاز وتحقيق كل شيء فهو بالنسبة للوجود كالماء بالنسبة للحياة.. فكما أنّ الحياة لا تكون إلّا بوجود الماء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.. كذلك وجود الأشياء والحوادث والأعمال، لا يمكن أن يكون إلّا بوجود الزمن..

لذا كان الزمن عنصراً أساساً، وضرورة لإيجاد الأشياء وتحقّقها.. ولذا كانت قيمته وأهميته بالغة في الحياة.. أهمية الماء بالنسبة لها.. فكما أنّ انعدام الماء يعني انعدام الحياة، فإنّ ضياع الوقت

وتضييعه وعدم الانتفاع به، يعني انعدام القدرة على إيجاد أي شيء أو إنجازه.. وبالتالي إعدام طاقة الانسان وإمكانيته وقدرته الفكرية والمادية والنفسية.. وتفويت الفرص والمناسبات، وهدر قيمة الأشياء إعدامها، والحيلولة دون ولادتها وتكوينها.

من هنا كان عنصر الزمن أغلى عنصر في حياة الانسان وأثمن شيء يملكه الناس في الحياة.. فليست الحياة بالنسبة للانسان إلّا ما يترك فيها من أثر.. وإلّا ما ينجزه ويحقّقه من فعل.. فهي حقله ومزرعته التي يزرع فيها جهده ونشاطه وطاقته وإمكاناته.. ويحصد ثمار جهده ونتيجة عمله..

وكم ينسى الانسان أهمية الزمن وقيمة العمر، وهو كل رأسماله الذي ينفق منه، ويتصرّف فيه.. وهو رأسمال محدود.. ورصيد محدود، وكل لحظة زمنية تمّر من العمر تنقصه.. وتذهب منه، ولا يمكن تعويضها وإعادتها.. فهو كمسافة الطريق بالنسبة إلى المسافر.. فكل خطوة يخطوها تقطع جزءاً معيّناً من المسافة وتنقص الطريق لتقرب من النهاية.. لذا فالانسان الناضج الذي يملك حسّاً حياتياً، وإدراكاً سليماً، ومعرفة صحيحة لقيمة الحياة وأهمية الزمن، يحترم وجوده وحياته، ويحرص على كل لحظة ودقيقة وساعة من ساعات العمر.. فهي جزء من حياته، يعمل جاهداً على توظيفها، والاستفادة منها. لئلّا تضيع هدراً فيضيع عمره وقدرته.. ثمّ ينظر إلى ما ضيّع وفرّط بعين الحسرة والندم.. وبعد فوات الأوان وتجاوز الإمكان..

ويحكي لنا القرآن الكريم عن هذا الانسان المضيّع النادم، الذي أغفل طاعة الله ونسيه، وضيّع عمره في اللّهو والعبث والضّياع والضلال والفراغ.. ولم يستفق من غفلته وغيبة وعيه إلّا في ساعة الحسرة والندم.. فيتذكّر ضياع القوّة والمال والجاه والامكانات، وعدم استثمارها في الخير وفي طاعة الله.. فيعضّ على يديه ندماً وحسرة، يشكو من الضّياع والخذلان وسوء العاقبة.. فيصفه القرآن الحكيم ويرسم مشهده المزري وصورته البائسة المكدورة، فيقول:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا﴾ (الفرقان/ 29-27).

ويصوّر هذا الشخص المضيّع في منظر آخر، ملؤه الندم والتعاسة، فيسجّل:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ* خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (الحاقة/ 31-25).

وهكذا يصوّر القرآن هذا النموذج من الناس المضيّع الذي أفنى عمره في غفلة ولهو وعبث، وضيّع ماله وسلطانه وعمره، بعد أن خاطبه القرآن وأرشده في موقع آخر من بيانه وإيضاحه الطريق والمنهج السوي للتعامل مع الحياة، ورسم كيفية الاستفادة من طاقة الانسان وجهده في مجال الخير والبناء والهداية

والاصلاح.. ﴿ولكِنْ لِيَبْلُوكُم فيما آتاكُم فاسْتَبِقُوا الخَيْرات﴾، فيُحدِّد له الهدف والغاية والاختبار والابتلاء، ليكشف الانسان عن محتوى ذاته، ويفصح عن هويّته وحقيقته الكامنة – خيِّرة كانت أو شرِّيرة – ويحثّه على السِّباق والتسابق من أجل الخير.. لا من أجل الصراع العابث، واستهلاك الطاقة في التنازع والتسابق في مجال الشرِّ والعداوة والضّلال والفساد.. فروح الآية ومضمونها حثّ على استثمار الزمن وتوظيف لحظات العمر، ومسابقة حركة الحياة، وعجلة المسير قبل فوات الأوان، وضياع الفرص.

لذا يشرح رسول الانسانية وترجمان القرآن الهادي محمّد (ص) هذه الحقيقة، ويوضِّح معناها ومدلولها بقوله (ص):

«إغتَنِم خمساً قبلَ خمس؛ شَبابكَ قبلَ هَرَمِك، وصحّتك قبل سَقمِك، وفراغك قبلَ شُغْلِك، وحياتكَ قبلَ مَوتِك، وغِناكَ قبلَ فَقرك».

فالرسول يدعونا إلى اغتنام الفرص واستثمار:

طاقة الشباب قبل المشيب..

والصحّة قبل المرض..

والحياة قبل الموت..

والفراغ قبل الانشغال..

والغنى قبل الفقر..

فقد لا يفكِّر الانسان صاحب المال والقوّة والوقت ومَنْ هو في مرحلة الشباب بتلك القوّة والفرص والحيوية التي يملكها ولا يقدِّر قيمتها وأهميتها.. فلا يدرك ولا يستفيد من قدرته على طلب العلم.. وقدرته على العبادة.. وقدرته على عملِ الخير.. وقدرته على المشاركة في النشاطات الاجتماعية.. ولكنّه يحسّ بالحسرة والندم على تلك القدرة والحيوية عندما يفتقدها وهو في مرحلة الشيخوخة عندما يشيب وتهرم طاقاته وقواه، وعندما يفقد إمكاناته وفرصه التي اُتيحت له، وعندما يصبح عاجزاً عن طلب العلم وعن العمل والمشاركة في مشاريع الخير وأعمال البرّ والجهاد... إلخ، فيظلّ يتذكّر أيّام الشباب وحيويّة الشباب وما تيسّر له من قوّة وإمكان.. نادماً على ما فرّط فيها.. آسِفاً عليها يوم كان بوسعه أن يعمل ويكسب ويوفِّر، ويطلب العلم، ويشارك في أعمال الخير، ويتزوّد من العبادة... إلخ. فكم من صاحب مالٍ ضيّع ماله ولم يستخدمه، ولم يوظِّفه فيما يحقِّق خيره وصالحه، وكم من صاحب قوّة وصحّة ونشاط قد أهدر صحّته ونشاطه، وكم من صاحب وقت وفراغ قتل وقته وأحرق الزمن كما تُحرق أكداس القمامة، جاهلاً قيمة هذا العنصر الحيوي في الحياة..

وظواهر التضييع وأسبابه كثيرة في حياة الناس.. فالذي يدرس بدقّة وعناية سبب مشكلة الانسان ومحنته الأخلاقية والاقتصادية والتعبّدية والاجتماعية، يجد أنّ التضييع والتفريط سبب أساس من أسباب التخلّف وخلق المشكلة الحضارية الكُبرى التي يعاني منها الانسان..

فالانسان يعاني من حالات نفسية وسلوكية ثلاث:

الإسراف: وهو استعمال الأشياء والموجودات؛ كالماء والطعام والشراب واللّباس.. إلخ استعمالاً يتجاوز حدّ الحاجة والصّرف المعقول.

التبذير: عبارة عن إتلاف وتضييع ما هو موجود، من مال وأشياء نافعة لدى الانسان.

التضييع: وهو إهمال الطاقات والفرص والإمكانات وتعطيلها وعدم الاستفادة منها... فالتضييع عمل سلبي وسلوك هدّام يفرزه الجهل والوضع النفسي غير السّوي.. العالم والمتعلّم والشخصية السويّة، حريصون على ما وهبهم ا من قدرات ومن صحّة وشباب ومال ووقت... إلخ، يتصرّفون بحكمة وواقعيّة، لا يفرّطون بشيء من هذه الطاقات، ولا يهدرون استثمارها..

لذا فإنّ الاسلام دين العمل والواقعيّة، كان حريصاً على توظيف طاقة الانسانية واستثمارها.. طاقاتها الطبيعية والبشرية التي فيها خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة.

فقد حبا ا الانسان بطاقات الطبيعة الخيّرة المعطاء، من الأرض والخصب، والماء العذب المتدفّق، وثروات الحيوان والمعادن.. وطاقة الشمس... إلخ، ومنحه طاقات عُظمى، لو أنّه تصرّف بها وفقَ منهج إلهي سليم لأخصبت الأرض، وعمرت الحياة، وازدهرت الحضارة، وعاش الانسان في ظلال الأمن والسلام.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف/ ٩٦).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة/ 15-16).

إنّ الاسلام لم يحثّ الانسان وينمّي وعيه وحسّه من أجل توظيف الطاقات والامكانات وتحذيره من تعطيلها وحسب... بل وجعله مسؤولاً ومحاسباً عنها يوم القيامة، فهي أمانة وطاقة حمّل بها ورضيَ بحملها، وعليه أداؤها وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي أرشده خالقه إليها، وبيّن له كيفيّة استعمالها. فلا شيء في هذا الوجود يعرف العبث والضّياع.. وكلّ شيء خُلِقَ بقدر، ووُضعَ موضعه، ليؤدّي دوره، ويحقّق غاية وجوده.. وما وضع بيد الانسان وحمل مسؤولية توجيهه وتوظيفه، فأنه مسؤول عنه ومحاسَب عليه، لذلك يأتي الحديث النبويّ الشريف ويشرح هذه الحقيقة العلمية للانسان، ليوقظ وعيه وحسّه الاجتماعي والعبادي ويفجّر في نفسه ينابيع الخير، ويُبعده عن التضييع والتفريط والتردّي في مهاوي الضّياع والفقر والمعصية..

قال رسول ا (ص): «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن

شبابه فيما أبلاه، وعن عمله كيفَ عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه» .

فالنصّ النبويّ الشريف يفيض بالقِيَم والمعاني، ويفصح عن المنهج والدقّة والتنظيم، ويضع الانسان أمام المسؤولية الكُبرى يوم القيامة.

فالانسان مسؤول عن الزمن وأهميته في الحياة، وغير مسموح له باتلافه وتضييعه في الثرثرة والفراغ والنوم والكسل والمجالس الفارغة المضيّعة.

فكم من الساعات والأيام والسّنين يضيّعها الانسان في التسكّع في المقاهي والأندية والطرقات ومجالس قتل الزمن وحرقه...

وقد لا يشعر الكثير من الناس بأهمية هذا العنصر، فتراه يضرب موعداً مع صديقه أو الزبون الذي اعتاد التعامل معه إن كان حرفيّاً أو صاحب عمل، ثمّ لا يعنيه أن يؤخّر العمل، أو يخالف الموعد عدّة أيّام أو ساعات، ولا يُقدّر أهمية الزمن، وخطورة تأخير الموعد، وتضييع الوقت.

وملايين الساعات مع الزمن تُحرق كلّ يوم بنوم الكسالى الذين يدفنون الزمن الحيّ في مقبرة الفراش، ويستهلكون الحيوية والنشاط في التمطّي والتثاؤب وفي الجلوس على الأرصفة والتجوال في الشوارع والتجمّعات هنا وهناك بلا هدف ولا غاية بنّاءة.

لقد نظّم خالق الوجود الحياة البشرية، وجعل اللّيل للنّوم والراحة... وثبّت هذا المبدأ بقوله: ﴿وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتًا* وَجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباسًا* وَجَعَلْنا النَّهارَ مَعاشًا﴾ (النّبأ/ 11-9).

وجُعِلت الصلاة عند طلوع الفجر، ليبدأ الانسان يومه بالعبادة وذكر الله والتفكّر في عظيم آياته، فيستجلي وجه الصباح.. ويستقبل يومه منذ بدايته بالجدّ والعمل... ينهض مع نهوض الحياة.. ويستفيق مع خيوط النور الأولى.

ويحثّ الحديث الشريف على النهوض المبكّر واستقبال اليوم بالعمل وطلب الرّزق والكسب الحلال، فقد ورد عن رسول الله 6: «بُورِكَ لاُمّتي في بكورها» .. وورد في حديث آخر: «إنّ اللهَ عزّ وجلّ يبغضُ العبدَ النوّام الفارغ» .. و«كثرة النّوم مذهَبة للدّين والدّنيا» .

وهكذا توضّح لنا المبادئ والقيّم الاسلامية كيفية استثمار العمر والاستفادة من الزمن وتنظيم الوقت والابتعاد عن الكسل والضّجر واللّهو، فالاُمّة التي يسيطر الكسل والخمول ويضيّع أبناؤها طاقاتهم وقدراتهم الجسديّة والفكريّة والماديّة، لهي اُمّة متخلّفة، تعيش في آخر الاُمم.. تعيش هزيلة تابعة لغيرها.. منصهرة في سواها.

فقد حذّر الاسلام الاُمّة الاسلامية أن تقع في هذه الهاوية، وطالبها بأن تكون اُمّة قائدة رائدة في طريق العلم والعمل، وحمل لواء الدعوة إلى الاسلام وهداية البشريّة لطريق الخير والسعادة.

إنّ الفراغ والضياع قد يتحوّل إلى مشكلة وأزمة حياتية، تعقّد حياة الفرد والجماعة..

فقد يتحوّل الفراغ إلى أزمة نفسية تنعكس آثارها السيّئة على الشخص نفسه..

وقد يُسبّب الفراغ إحداث مشاكل اجتماعية وأخلاقية.. فالانسان الذي يملك طاقة ولا توجدلها مسرباً طبيعيّاً لتصريفها، أو مجالاً نافعاً لتوظيفها ووضعها في الموضع الطّبيعي البنّاء.. يتحوّل إلى إنسان هدّام ووجود عابِث..

فالطاقة الانسانية هي كالطاقة المائية الهائلة التي إن أحسن استثمارها أخصبت الأرض.. وأنعشت الحياة.. وإن تُرِكَت واُهمِلَت، تحوّلت إلى سيل جارف وفيضان مدمّر..

ولذا كان على الفرد أن يفكّر في التخلّص من الفراغ والبطالة.. وعلى الآباء أن يوجّهوا أبناءهم للانتصار على هذه المشكلة ويربّونهم على حياة العمل والنشاط والعطاء والخير..

وعلى الحكومات والمؤسّسات الاجتماعية أن تفتح آفاقاً رحبة، وأن تخطّط لتوظيف طاقات الفرد وهدايته وإصلاحه.

وقد تنبّهت قوى الاستكبار والاستعمار العالمي إلى هذه القضيّة الحيويّة، قضيّة هدر طاقات الاُمّة وتضييع إمكاناتها، فكرّست العقول والخبرات لوضع الخطط وتصميم حياة الشعوب والاُمم المستضعفة وخصوصاً الشعوب الاسلامية التي خضعت للاستعمار بعد أن ترك المسلمون العمل بالاسلام، وغابت عنهم شمس الحضارة الاسلامية وفقدوا دولتهم وقوّتهم، وأصبحوا خانعين عن طريق الحكّام العملاء لقوى الاستكبار، فوضعت المناهج التعليمية التي يستهلك فيها الطالب الشطر الحيوي من حياته دون أن يقدّم شيئاً حيوياً يُذكَر لنفسه واُمّته، وصمّمت الصناعة والزراعة بشكل يستهلك طاقة الاُمّة وقواها دون أن يحقّق الانتاج المطلوب أو المستوى الموازي للوقت والمال المصروف فيه، فتبرّره بالتدرّج والانتقال من الصناعات الخفيفة إلى الصناعات المتطوّرة.. وإشاعة وسائل اللّهو والعبث والبطالة للإبقاء على تخلّف الاُمّة وتأخّرها المادّي والمعنوي.. وخطّطت للصراعات والخلافات وهدر الطاقات واستهلاكها في الصّراع الداخلي، كالصّراعات الطائفية والعنصرية وصراعات الحدود وخلق كيانات معادية.. كالعصابات الصهيونية في فلسطين وأمثالها.. وهكذا وضعت الخطط والأساليب الخبيثة لتضييع طاقة الاُمّة والإبقاء على تخلّفها.

فإلى المزيد من الوعي والنّضج الفكري الحضاري أيّها المسلمون.. إلى العلم والعمل.. إلى الجدّ والنشاط، إلى استثمار الزمن وتوظيف طاقات الاُمّة وحمل لواء الهدى والرّشاد..

فلنستثمر الزمن ولنحسن توظيف طاقات الاُمّة والأفراد.. فعلى الذي يجد ساعات من الفراغ، أن يستغلّها بالتربية والتثقيف الذاتي وبالعناية بأبنائه وأسرته، وبالتأمّل في ملكوت السماوات والأرض.. وبتلاوة كتاب ا وبالذّكر والتسبيح والاستغفار.. وبتعلّم مهنة أو حرفة نافعة أو لغة جديدة، لنستثمر الوقت، ولنوظّف كلّ دقيقة من دقائقه، ولنملأ الحياة بالحيويّة والنشاط..

فقد خُلِقَ الانسان ليعمّر الأرض ويمارس دور الخلافة فيها.. ويوظّف طاقات الطبيعة لصالح البشرية.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ

تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (هود/ ٦١).